

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٣٩ : خ ١ - رمضان ٢ (شهر الإنفاق) ، خ ٢ - صدقة الفطر.

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٣-٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتني لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صل وسلّم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، واللطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قادر ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنها ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

وجوب الإنفاق :

أيها الأخوة الأكارم ؛ خطبة في رمضان عن الإنفاق، وخطبة عن القرآن، وخطبة عن الإنفاق، وخطبة عن القرآن، وخطبة عن موقعة بدْر ، هذه الخطب الأربع التي يألف الخطباء أن يخطبوها في رمضان ، خطبتنا اليوم عن الإنفاق .

بادئ ذي بدء ، آيات الإنفاق في القرآن الكريم تقترب من مئة آية ، والإنفاق في القرآن الكريم واجب ، وقد أخذ الوجوب من صيغ الوجوب ، ومن صيغ الوجوب فعل الأمر ، قال تعالى :

﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾

[سورة البقرة: ١٩٥]

قال بعض المفسرين : أنفقوا في سبيل الله ، فإن لم تنتفوا القيمة بيديكم إلى التهلكة ، أي جئتم يوم القيمة بلا عمل صالح ، يا بشر لا صدقة ولا جهاد فبم تلقى الله إذا ؟ قال تعالى :

﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾

[سورة البقرة: ١٩٥]

إنكم إن لم تنتفوا القيمة بيديكم إلى التهلكة ، وأشد أنواع التهلكة أن يأتي الإنسان ربُّه يوم القيمة بلا عمل صالح . آية ثانية توجب الإنفاق ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢٥٤]

آية ثالثة ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَبَابٍ مَا كَسَبْتُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٧]

أضيف معنى جديد ، المعنى الأول ؛ إن لم تتفقوا أقيتم بأيديكم إلى التهلكة المعنى الثاني ، أنفقوا مما رزقناكم ، وفي هذه الآية إشارة إلى أن موضع الإنفاق واسع جدًا ، والآية الثالثة أنفقوا من طبیبات ما كسبتم ، من المال الذي كسبته حلالاً ، بکد جبينك ، بکد يمينك ، وعرق جبينك ، ولا ينبغي أن تظن أيها الإنسان أن هذا المال ملك لك ، هو ليس لك ، مالك أي ليس لك ، أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى :

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلُوكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾

[سورة الحديد : ٧]

أنتم خلفاء الله على المال ، يدكم عليه ، لا يد التملك ، بل يد الأمانة ، قال تعالى :

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلُوكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾

[سورة الحديد : ٧]

أنتم وكلاء الله في هذا المال ، الأغنياء أو صيائي ، القراء عالي ، فمن منع ملي عالي أذنته عذابي ولا أبالي . الإيجاب الرابع في الإنفاق ، يتضمن معنى جديد ، وهذا المعنى يعني أنه يجب أن تنفق في الوقت المناسب ، ويجب أن تنفق وأنت صحيح شحيح ، يجب أن تنفق في الوقت الذي يعد المال فيه عندك ثميناً ، أما إذا جاء الموت ، وسقطت قيمة المال عندك فنقول : لفلان كذا ولفلان كذا ، قال تعالى :

﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَتْنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤْخَرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة المائدة : ١٠١-١٠٢]

أي أنفق قبل فوات الأوان ، أنفق قبل إلا ينفع الإنفاق ، أنفق قبل أن يغلق الباب ، وهناك آية أخرى توجب الإنفاق فيها معنى جديد وهو التهديد قال تعالى :

﴿وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ﴾

[سورة التغابن : ١٦]

باللغة الدارجة أفضل لكم أن تتفقوا وإلا سوف تلقون العذاب الشديد ، بل إن البر كله الذي تتوقعه من الله عز وجل لن يكون إلا بالإنفاق ، قال تعالى :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[سورة آل عمران : ٩٢]

آيات كثيرة في القرآن الكريم توجب الإنفاق ، وتعطي معانٍ أخرى متعلقة بالإنفاق .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الله سبحانه وتعالى أمر بالإنفاق مما رزقك ، أي الإنفاق أوسط من المال ، قد تتفق من علمك ، وقد تتفق من خبرتك ، وقد تتفق من وقتك ، وقد تتفق من جهلك ، وقد تتفق من عضلاتك ، وقد تتفق من جاهك ، وقد تتفق من مالك ، فما لم يأت في الآية قرينة تصرف الإنفاق عن المال فالإنفاق في الأصل هو للمال .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ما فلسفة الإنفاق ؟ لماذا ننفق ؟ ما سر الإنفاق ؟ ما الهدف من الإنفاق ؟ في آيتين اثنتين أشار الله سبحانه وتعالى إلى حكمة الإنفاق ، قال تعالى :

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَخَذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ إِلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة التوبه : ٩٩]

الإنفاق فلسنته أن الله أودع فيك حب المال ، قال تعالى :

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْتَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾

[سورة آل عمران : ١٤]

وحب المال من جبلة الإنسان ، فقبض المال طبع ، لكن الله عز وجل كلفك بإنفاقه من أجل أن ترقى إليه ، لن ترقى إلى الله إلا إذا بذلت شيئاً تحرص عليه ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوقًا * إِنَّمَا مَسَهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِنَّمَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا﴾

[سورة المارج : ٢١-١٩]

كذلك أن تتفق ما أنت حريص عليه لترقي إليه ، ولن تتallow البر حتى تتفقوا ما تحبون ، إذا بالإنفاق تقرب إلى الله عز وجل ، بالإنفاق تحظى عند الله بمقدار صدق ، بالإنفاق تشعر أن الله يحبك ، بالإنفاق تشعر أن الله راض عنك ، بالإنفاق تشعر أنك في الطريق الصحيح .

هناك آية ثانية يبين الله حكمة الإنفاق ، بل فلسفة الإنفاق ، قال تعالى :

﴿وَمَثَلُ الدِّينِ يُنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهِ وَتَبَيَّنَتِي مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٥]

ليمكن مكانته عند الله ، ليثبت مكانته عند الله تعالى ، إذا أردت أن تعرف مالك عند الله تعالى فانظر ما الله تعالى عندك ، إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما أقامك ، إذا أردت أن تعرف مالك عند الله تعالى فانظر فيما استعملك ، تثبت من أنفسهم ، كيف أن الأعمال الطيبة بين البشر تثبت علاقتهم ، ومكانتهم ، كذلك ربنا سبحانه وتعالى أشار إلى أن إنفاق المال يثبت مكانتك عند الله ، بل يرفعها إلى أعلى عليين .

إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَيْسَ اسْتِهْلَاكًا لَهُ وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِثْمَارٌ لَهُ :

الإِنْسَانُ أَيَّهَا الْأَخْوَةُ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ إِنْفَاقُهُ مَعْلُومًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، لَوْ أَنَّكَ أَدْبَتَ شَيْئًا إِلَى إِنْسَانٍ تُطَالِبُهُ بِإِيصالٍ ، تُطَالِبُهُ بِإِشْعَارٍ ، إِشْعَارٌ تَسْلُمٌ ، تُطَالِبُهُ أَنْ يُعْلَمَ الَّذِي أَنْفَقْتَ مِنْ أَجْلِهِ ، لَكِنَّكَ إِذَا أَنْفَقْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُ أَنْ تَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ صَدَقَتْكَ نَقْعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقْعُ فِي يَدِ الْفَقِيرِ ، لَذِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَرِيدُ عَنْ ثَمَانِيَةِ آيَاتٍ مِنْهَا قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَدَرْتُمْ مِنْ نَدْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٠]

لِمُحْرَدٍ أَنْ تَنْفَقَ نَفَقَةً صَغِيرَةً ، أَوْ كَبِيرَةً فَقْدَ وَقَعَتْ فِي عِلْمِ اللَّهِ ، وَقَبِيلَهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْكَ وَوَقَعَتْ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقْعُ فِي الْفَقِيرِ .

شَيْءٌ آخَرُ ، مَا ظَنْكُمْ أَيَّهَا الْأَخْوَةُ أَنَّكُمْ إِذَا وَضَعْتُمُ الْمَالَ عِنْدَ جِهَةٍ مُسْتَثْمِرَةٍ فَجَاءَتْكَ الْأَرْبَاحُ أَصْعَافًا مَضَاعِفَةً ، أَتَعْدُ أَيَّهَا الْأَخْ الْكَرِيمُ إِعْطَاءً هَذِهِ الْجِهَةِ مَالَكَ اسْتِهْلَاكًا أَمْ اسْتِثْمَارًا؟ رَبَّنَا سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى يُطْمَئِنُّنَا ، وَبَيْنَنَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ جَدًا أَنَّ إِنْفَاقَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَيْسَ اسْتِهْلَاكًا لَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِثْمَارٌ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

[سورة سبأ : ٣٩]

وَفِي آيَةِ ثَانِيَةٍ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنْبَلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة البقرة : ٢٦١]

إِذَا نَفَقْتَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ ، وَنَفَقْتَكَ مُعْوَضَةً أَصْعَافًا كَثِيرَةً ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ يَذَكُّرُ أَنَّ الْعَدْ سَبْعَةَ ، وَمَضَاعِفَاتُ الْعَدْ سَبْعَةَ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ لَا يَعْنِي الْكَمْ ، وَلَكِنَّهُ يَعْنِي الْكَثْرَةَ ، يَعْنِي أَصْعَافًا كَثِيرَةً .

الإخلاص في الإنفاق :

وَلَكِنَّ أَيَّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ هُنَاكَ أَنْاسٌ كَثِيرُونَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ ، أَمَّا إِنْفَاقُ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ إِنْفَاقُ الْخَالِصِ لِوَجْهِهِ تَعَالَى ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٢]

يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهُ ، يَجِدُ أَنْ تَرْحِصَ عَلَى نِيَّتِكَ ، يَجِدُ أَنْ تَرَاقِبَ نِيَّتِكَ ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِصٌ بِهَذَا إِنْفَاقًا أَمْ تَبْتَغِي سُمْعَةً أَوْ جَاهًا أَوْ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ عَنْكَ؟ وَالْدَّعَاءُ الَّذِي كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُهُ عَلَيْكُمْ مَرَاتِ عَدَّةٍ : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَتَرَيَنَّ لِلنَّاسِ بِشَيْءٍ يَشِينُنِي عَنْكَ".

شروط الإنفاق المقبول :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ للإنفاق المقبول شروط ، منها قبل الإنفاق ، ومنها بعد الإنفاق ، ومنها ما يرافق الإنفاق ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبِّعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٢]

الشرط الأول أن يكون إنفاقك خالصاً لوجه الله ، في سبيل الله ، لا في سبيل زيد أو عبيد ، قبل الإنفاق الإخلاص ، وبعد الإنفاق عدم الملل والأذى ، هؤلاء لهم أجرهم عند ربهم ، قال تعالى :

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٢]

شيء آخر ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾

[سورة الفرقان : ٦٧]

هذه الآية تتصرف إلى الإنفاق على الحاجات الشخصية ، وعلى الأهل والبيت ، يجب أن تعتدل بين الإسراف ، وبين التقتير ، لأنك إن أسرفت في الإنفاق الشخصي لم يبقَ عندك مالاً للإنفاق الله عز وجل ، إذا اعتدلت في إنفاقك الشخصي فاض عندك فائضٌ تتفقه في سبيل الله تعالى ، وترقى به عند الله عز وجل ، وعلاقة هذه الآية مع أنها تتصرف إلى الإنفاق الشخصي ، علاقتها أنك إن لم تعتدل لم يبقَ عندك ما تتفقه في سبيل الله تعالى .

قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً﴾

[سورة الرعد : ٢٢]

قد يقتضي الإنفاق أن يكون سيراً ، وهذا في أغلب الأحيان ، وفي حالات خاصة، إذا أنفقْتَ لمشروعٍ خيريًّا ، وأردتَ أن تُحسِّنَ الناسَ أعلنتَ هذا الإنفاق فلا مانع ، إذا أدى إعلانك عن إنفاقك إلى جرح مشاعرِ أخيك ، عندئذٍ اعلم علم اليقين أنه يجب أن يكون الإنفاق فيما بينك وبين الله عز وجل ، بل يجب ألا تعلم شماليكَ ما أنفقْتَ يمينكَ ، بل إنَّ المؤمنين ينفقون في السراء والضراء ، الإنسان أحياناً يكون في مشكلة فإذا جاءه سائلٌ ينهرُه ، يجب أن تتفقَ في السراء ، وفي الضراء ، في بحبوحة ، وفي ضائقَة ، في سلامٍ ، وفي ضيقٍ ، في راحة ، وفي ضجر ، في السراء والضراء ، سراً وعلانيةً ، بل إنَّ الله سبحانه وتعالى يجعل من شروط الإنفاق أن يكون الذي تتفقَّه من أحبَّ الأشياء إليك ، لا تتفقَ شيئاً تكرهه ، لا تتفقَ طعاماً لا تأكله ، لا تعطي مالاً مهترئاً ، كان السلفُ الصالح ينتقدون الدنانير الجديدة لإنفاقها في سبيل الله تعالى ، ما قولكم أيها الأخوة أنَّ الإنسان إذا كان عنده صندوق يضع فيه هذا المال ، فإذا أُسقطَ في هذا الصندوق

مالاً ، والصدقون له ، والمفتاح عنده ، هل أعطى أحداً شيئاً ؟ الله سبحانه وتعالى يُبَيِّنُ لنا أنَّ كلَّ شيءٍ تنتفعُ به في النهاية لك ، ولكن ليس لك بِحَجمِه الحقيقِيِّ سيَكونُ لك بأضعافٍ كثيرة ، لذلك يقول الله عز وجل :

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٢]

أَنْتَ إِذَا أَنْفَقْتَ مَا فَعَلْتَ شَيْئاً ، ادْخَرْتَ عِنْدَ اللَّهِ هَذَا الْمَالَ ، أَنْتَ إِذَا أَنْفَقْتَ اسْتَثْمَرْتَ هَذَا الْمَالَ ، أَنْتَ إِذَا أَنْفَقْتَ فَعَلْتَ خَيْرًا يَعُودُ عَلَيْكَ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ .

آية نفقة صغيرة أو كبيرة يعلمها الله وسيحاسب عليها :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قد يقول قائل : أنا فقير ، لا أجد ما أتفق ، الله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي : " أَحَبَّ ثَلَاثَةِ أَشَدَّ ، أَحَبَّ الطَّائِعِينَ وَهُبَّ لِلشَّابِ الطَّائِعَ أَشَدَّ ، وَأَحَبَّ الْمُتَوَاضِعِينَ ، وَهُبَّ لِلْغَنِيِّ الْمُتَوَاضِعَ أَشَدَّ ، وَأَحَبَّ الْكَرِمَاءِ وَهُبَّ لِلْفَقِيرِ الْكَرِيمِ أَشَدَّ ، وَأَبْغَضَ ثَلَاثَةِ أَشَدَّ ، وَبُغْضِي لِلْمُتَكَبِّرِ أَشَدَّ ، أَبْغَضَ الْعَصَاتِ ، وَبُغْضِي لِلشِّيخِ الْعَاصِي أَشَدَّ ، وَأَبْغَضَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، وَبُغْضِي لِلْفَقِيرِ الْمُتَكَبِّرِ أَشَدَّ ، وَأَبْغَضَ الْبُخَلَاءِ ، وَبُغْضِي لِلْغَنِيِّ الْبُخِيلِ أَشَدَّ " ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿لَيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ﴾

[سورة الطلاق : ٧]

الغني لا عذر له عند الله عز وجل ، بإمكانه أن ينفق ، وبإمكانه أن يتقرب إلى الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ﴾

[سورة الطلاق : ٧]

وإن كانت هذه الآيات جاءت في سياق آخر ، ولكن من إعجاز القرآن أن كل آية لها معنى في سياقها ، ولها معنى آخر إذا نزعتها من سياقها ، قال تعالى :

﴿لَيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ وَمَنْ قُرِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ﴾

[سورة الطلاق : ٧]

ويجب أن تعلم أنك لن تتفق نفقةً مهما كانت صغيرةً إلا والله سبحانه وتعالى يعلمها ، وسيكافي عليها ، قال تعالى :

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْرِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة التوبه : ١٢١]

رُبَّ دِرْهَمٍ سبقَ أَلْفَ درهم ، أما الذي لا يجد شيئاً ينفقه ، فإليكم وصيحة من قيل الله عز وجل ، الآية طويلة في مقطعها ، قال تعالى :

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾

[سورة التوبه: ٩٢]

من علامة الإيمان أنه إذا لم يجد ما ينفق تالم ألمًا شديداً ، وتمنى لو أعطاه الله عز وجل مالاً حتى ينفق .

فلسفة الكفار في عدم الإنفاق :

أما الذين لا ينفقون في سبيل الله ، فما حالهم مع الله ؟ ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفَضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكَوَّى بِهَا جَبَاهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظَهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِنَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾

[سورة التوبه: ٣٥-٣٤]

قال العلماء : مهما كان المال ضئيلاً إن لم تؤدّ زكاته فهو كنز عند الله تعالى ، ومهما كان المال وفيراً إن أديت زكاته فليس بكنز عند الله عز وجل . وإذا رأيت إنساناً موفور المال ، ويعيش في بحبوحة كبيرة ، دخله كبير جداً ولا ينفق من هذا الدخل في سبيل الله ، إياك أن تعجب به ، وإياك أن تعجب بماله ، إياك أن تعجب ببيته ، إياك أن تعجب بثاثه ، ربنا عز وجل يقول :

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

[سورة التوبه: ٥٥]

ربما كان المال الذي منع إنفاقه في سبيل الله سبب عذابه في الدنيا ، وسبب شقاءه ، ربما وقع الخصم ، وربما وقعت الجرائم ، ربما دمرت الأسر من أجل مال لم ينفق في سبيل الله ، قال تعالى :

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

[سورة التوبه: ٥٥]

هؤلاء الذين لا ينفقون لماذا لا ينفقون ؟ ما فلسفتهم ؟ ما الحجة التي يذلون بها ؟ كيف يعلّلون ذلك ؟ الله عز وجل أشار إلى ذلك فقال :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَا اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعُمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة التوبه: ٤٧]

أيها الأخوة ؛ ذكرتُ هذه الآية لشلّا يقع في خاطر أخِ كريم حجَّة لعدم الإنفاق مُشابهة لهذه الحجَّة، فالذى يقول لك : ما لي وللناس ؟ للناس رب يرزقهم هو يطعمهم ، أنا علىّ بنفسي ، ليحذر هذا الكلام لأنَّ هذا الكلام مُطابق تماماً لكلام الكفر ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَا اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعُمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

[سورة يس : ٤٧]

هذه فلسفة الكفار في عدم الإنفاق ، لكنَّ أشقي الأشقياء هو الذي لا ينفق ويأمر بِعدم الإنفاق ، قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾

[سورة النساء : ٢٤]

هؤلاء ، الضال ضال ، لكنَّ الأضل من الضال هو الضال المُضلل ، والفاشل فاشل ، لكنَّ الأفسد من الفاسد الفاسد المفسد ، والبخيل بخيل ، ولكنَّ الأبخيل من البخيل ، الذي يبخَل ويأمر الناي بالبخَل ، فإذا شعرَ أنك تتفق يقول : لم تتفق ؟ خبيء هذا المال !! لا عليك والناس ! بل إنَّ هناك من هو أشرَّ من هذا !!! هناك بخيل ، وهناك من يأمر بالبخَل ، وهناك من ينفق ماله ليُضليل الناس عن سبيل الله ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٣٦]

بخَلُّ ، وأمرُّ بالبخَلُّ ، وإنفاقُ في سبيل الصَّدَّ عن الله عز وجل .

الإنفاق المنهي عنه :

هناك إنفاقُ أيها الأخوة منهى عنه ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَيَمِّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَا سُتُّمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِّ حَمِيدٌ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٧]

نَهَى قطعي على أن تتفق شيئاً لا تحبه ، وهناك أشياء تُبطل أجر المنفق ، وتحمِّل ثوابه ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذْى﴾

[سورة البقرة : ٢٦٤]

لقد أعطَيْتُك ! أليسَ لي فضلٌ عليك ؟! هذا اللَّحم الذي على كَيْكِ من خيرِي !! هذا كلامُ المنَّ والأذى ، ليس من خيرِك ، لا ، هذا من خيرِ الله عز وجل ، فإذا أراد الله إظهار فضليه عليك ، خلقَ الفضل ونسبة إليك ، فإن قلت : هذا خيرِي فليس بخيرِك . قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَّ وَالْأَذْيَ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٤]

عامل آخر يُبطل قيمة الإنفاق ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء : ٣٨]

إذا كان في مَحْفَلٍ كَبِيرٍ ، فِي مَجَمِعٍ كَبِيرٍ ، إِذَا كَانَ إِنْفَاقُ الْمَالِ سِيرَفُهُ فِي نَظَرِ النَّاسِ يُنْفِقُ فِي سَخَاءٍ ، فَإِذَا كَانَ إِنْفَاقُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ الْفَقِيرِ ، يَعْرَفُ عَنْ هَذَا إِنْفَاقٍ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾

[سورة النساء : ٣٨]

لَمَّا أَنْفَقُوا رِئَاءَ النَّاسِ ؟ لَأَنَّ إِيمَانَهُمْ بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ضَعِيفٌ ، لَمْ يَرْقُ بَعْدَهُمْ إِلَى مُسْتَوْى إِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى .

شَيْءٌ آخَرُ أَيَّهَا الْأَخْوَةُ ، الْمَنَّ وَالْأَذْيَ يُبْطَلُ ، وَأَنْ يَكُونَ إِنْفَاقُ رِئَاءَ النَّاسِ يُبْطَلُ ، وَأَنْ يَتَبَسَّسَ إِلَيْهِ الْإِنْفَاقُ بِمَعْصِيَةٍ وَهُوَ مُقْيَمٌ عَلَيْهَا ، أَيْ إِذَا جَاءَكَ طَالِبٌ بِوَرْدَةٍ جَمِيلَةٍ يَقْدِمُهَا هَدِيَّةً لَكَ ، وَقَدْ أَهْمَلَ وَظَافَفَهُ كُلَّهَا ، أَتَعْقِيَهُ مِنَ الْعِقَابِ هَذِهِ الْوَرْدَةُ ؟ قَالَ تَعَالَى :

﴿قُلْ أَنْفُقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبية : ٥٣]

إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا عَلَى شَهْوَاتِكَ الْمُحَرَّمَةِ ، تَفْعَلُهَا كَمَا تَرِيدُ ، وَتَنْفُقُ الْمَالَ لِتُغْطِيَ هَذِهِ بِنِلَّاتِكَ فَهَذَا لَا يَعْفُوَكَ مِنَ الْعِقَابِ . وَنَحْنُ فِي شَهْرِ إِنْفَاقِنَا ، وَنَحْنُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، شَهْرِ الصَّدَقَةِ ، وَشَهْرِ الْفَطْرَةِ ، وَشَهْرِ الزَّكَاةِ ، وَالَّذِي يَرْفَعُكَ عَنِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، الصَّلَاةُ لَكَ ، وَالصَّيَامُ لَهُ عَزْ وَجْلُهُ ، وَلَكَنَّ إِنْفَاقَنَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزْ وَجْلُهُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُكَ عَنِ الدُّنْيَا عَزْ وَجْلُهُ . حَاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْاسِبُوهُ ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوْزَنَ عَلَيْكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتَ قَدْ تَخَطَّيَنَا إِلَى غَيْرِنَا ، وَسَيَتَخَطَّيَ غَيْرُنَا إِلَيْنَا فَلَنْتَخَذْ حَذْرَنَا ، الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَاهَا وَتَقْنَى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيِّ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

* * *

الخطبة الثانية :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِي الصَّالِحِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، صَاحِبَ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

صدقة الفطر :

يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ صَدَقَةُ الْفَطْرِ كَمَا قَدَّرَهَا الْعُلَمَاءُ اسْتِبْنَاطًا مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُوَازِنَةً مَعَ أَسْعَارِ الْيَوْمِ هِيَ عَلَى النَّحوِ التَّالِي : الْقَمْحُ ، وَالشَّعِيرُ ، وَالتمْرُ ، وَالزَّبِيبُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، نِصْفُ صَاعِ الْقَمْحِ أَوْ الْبُرْرِ يُقَابِلُ اثْتَيْنِ مِنَ الْكِيلُو ، فَعَلَى

٩

حساب البر - القمح - صدقة الفطرة من خمس وعشرين ليرة إلى ثلاثةين ليرة ، على كل إنسان تمونه أو تلي عليه - ذكرًا كان أو أنثى ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، حرًا كان أو عبدًا. بقيّة المواد أسعارها ترتفع ، الشعير من سنت وخمسين ليرة إلى ثماني وأربعين ليرة، والتمرة من ثلاثة وعشرين ليرة للفرد الواحد ، إلى مترين وثمانين ليرة ، والزبيب من متى ليرة إلى مئة وخمسين ، هذه الأرقام ذكرتها لكم ، الحد الأدنى خمس وعشرون ليرة والحد الأقصى ثلاثة وعشرون ليرة ، ولا حد لأكثر صدقة الفطر ، الميسور لو دفع عن كل فرد ألف ليرة بارك الله به، وجزاه الله خيرًا ، وهذا لصالح الفقير ، الحد الأدنى خمس وعشرون ليرة عن كل فرد تمونه أو تلي عليه ، لابد من دفع هذا المبلغ ، وأن ينفق قبل صلاة العيد ، والأولى أن ينفق على رأي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في مُقتبلِ رمضان ، كي يتذمّر الإنسان حاجاته في الوقت المناسب.

وأما الزكاة ، فزكاة المال اثنان ونصف بالمائة ، هذا مقدار الزكاة ، ولكن ما المبلغ الذي تجب فيه الزكاة ؟ الفضة كما ورد في أقوال النبي عليه الصلاة والسلام تجب في متنى درهم ، والدرهم يساوي ثلاثة ونصف غرام أي سبعة آلاف ليرة تجب فيها الزكاة على نصاب الفضة ، وأربعون أو خمس وأربعون ليرة تجب فيها زكاة الذهب ، أي إذا أردت أن تعدل المال على الفضة فسبعة آلاف تجب فيها الزكاة ، وإذا أردت أن تعدل المال على الذهب ، فأربعون إلى خمس وأربعين ليرة تجب فيها الزكاة ، ولكن العلماء يميلون إلى أن تُحسب الأموال الواجب فيها الزكاة على نصاب الفضة لصالح الفقراء ، وإذا أتفق الإنسان من ماله زكاة فقد حصن هذا المال لقول النبي عليه الصلاة والسلام : " ما تلف مال في بر أو بحر إلا يحبس الزكوة " فعلى حساب الفضة تجب الزكاة في كل سبعة آلاف ليرة ، بدءاً من سبعة آلاف ليرة ، تجب فيها الزكاة ، وعلى حساب الذهب تجب في الأربعين على عيار واحد وعشرين ، إلى خمس وأربعين على عيار أربعة وعشرين ، فانت مخير ، ولكن أنا أنصح من أراد أن ينفق زكاة ماله أن يعتمد حساب الفضة لصالح الفقير ، ولما يرضي الله عز وجل ، وزكاة الفطر أيضًا كما قلت قبل قليل بدءاً من خمس وعشرين ليرة وانتهاءً بثلاثة وعشرين ليرة على الفرد الواحد ، ولا حد لأكثر زكاة الفطر .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جننك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبتنا ، واجعله الوارث منا ،

واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ
علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن
حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن رواعتنا ،
وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رحباً وسائراً بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا
تجعلنا من الفانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم
بفضلك ورحمتك أعلِّ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولا تهم إلى
ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين